

التحولات المفاهيمية والفنية للتعبير عن الحراك الثوري بالعراق كمدخل للتصوير المعاصر



مقالة بحثية

*حسام اشراق عبد رمضان

* الدارس بمرحلة الماجستير، بقسم الرسم والتصوير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.

البريد الإلكتروني: husamasraq@gmail.com

تاريخ المقال:

- تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 17 إبريل 2021
- تاريخ تسليم النسخة المنقحة: 07 يونيو 2021
- تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 12 يونيو 2021

الملخص:

إن سبب قيام العديد من مظاهر الحراك الثوري الشعبي في العصر الحديث هو المطالبة بحقوق الانسان، وحرية والديمقراطية والشفافية والنزاهة والمواطنة ودور المرأة في التنمية والتعليم والتربية من اجل السلام والتعايش السلمي والحوار ومفاهيم المجتمع المدني وكذلك المفاهيم المرتبطة بالتقدم العلمي والثقافي والتطور التكنولوجي، بعيدا عن الافكار المتطرفة كالعنف والإرهاب، وإن هذه المفاهيم تؤثر على المجتمع وثقافته وتطوره في كافة المجالات ومنها الفنون المختلفة التي تعبر عن الرأي والفكر والإحساس وخاصة في مجال الرسم والتصوير. ومشكلة البحث تكمن في التساؤل كيف يمكن رصد وتحليل التحولات المفاهيمية والفنية في التصوير المعاصر للحراك الثوري بالعراق؟ ويهدف البحث في التعرف على التحولات المفاهيمية والفنية للتصوير المعاصر للحراك الثوري في العراق والأساليب الأدائية والتعبيرية التي تناولها الفنان العراقي قبل وبعد الاحتلال الامريكى للعراق. وإن أهميته الوقوف على أهم التحولات المفاهيمية والفنية وما صاحبها من التغييرات التي أثرت على هوية فن التصوير في العراق وكذلك رصد وتوثيق الأنماط الجديدة للأعمال الفنية في مجالي الرسم والتصوير المرتبط بالحراك الثوري. واغرض الحصول على نتائج دقيقة لتحقيق أهداف البحث إعتد المنهج الوصفي والتحليلي. وأهم ما توصل اليه البحث إن إستلهام التحولات المفاهيمية والفنية للثورات العراقية أدى إلى إثراء التصوير المعاصر وساهم في تطوير مفهومه من خلال الافادة من التحولات المفاهيمية والفنية في التصوير المعاصر للحراك الثوري بالعراق؛ فلذلك تم اقتراح عدة توصيات أهمها الاهتمام بتدريس فنون الثورات العراقية في برامج التصميم لطلاب الفنون والتربية الفنية بالعراق ودعم وتشجيع المؤسسات التعليمية والجامعات ومراكز البحوث لهذه النوعية من الأبحاث لإنتاج أعمال فنية ذات رؤى معاصرة.

الكلمات المفتاحية: التحولات المفاهيمية والفنية – التصوير المعاصر – الحراك الثوري

مقدمة البحث:

تميز العراق دوماً بحضارته الممتدة عبر التاريخ وخيراته الكثيرة كبلد نهري زراعي يستقر فيه سكانه، وهو ما جعل العراق مقصداً للعديد من الهجرات ومعبراً مهماً بين حضارات الشرق الأقصى وأوروبا، وقد أدى التلاقح بين الثقافات والحضارات فيه إلى وجود عدداً من الديانات والمذاهب والطوائف والعرقيات تحيا جنباً إلى جنب، وفي ذلك أهمية وثراء حضاري، وهو دوماً باعثاً على التشاحنات والخلافات، إذ اتخذ العديد من حكام العراق - قديماً وحديثاً - من ذلك التنوع الثقافي ذريعاً للتفرقة بين أطراف المجتمع العراقي بُغية استتباب الحكم لهم، مما أدى الى قيام العديد من مظاهر الحراك الثوري الشعبي لاسيما في العصر الحديث للمطالبة بحقوق الانسان، وحرياته الاساسية، والديمقراطية، والشفافية، والمسائلة والعدالة، والنزاهة، والمواطنة، ودور المرأة في التنمية، والتعليم، والتربية من أجل السلام، والتعايش السلمي، والحوار، ومفاهيم المجتمع المدني،..... الخ (الأبناري، 2020، ص20).

وكانت المفاهيم المرتبطة "بالتقدم العلمي والتطور التكنولوجي، وثورة المعلومات والاتصالات والانترنت والعولمة بمفاهيمها ومسمياتها وتجلياتها الايجابية والسلبية نابعة من واقع المجتمع العراقي الجديد الذي يتطلع نحو الديمقراطية والحرية في ظل الدستور العراقي والقانون، بعيداً عن الافكار المتطرفة كالعنف والإرهاب" (ليبهارت، 2006، ص65). ولعل الصراعات والحروب التي خاضها العراق في عصره الحديث - داخلياً وخارجياً - قد سبب ركوداً تشكيمياً واضحاً، جعل الفنان في عزلة، كما تمثل في فقدانه الثقة والدافعية نحو العمل الإبداعي، مما أدى إلى حالة من التدني في المستوى نظراً لقلّة رعاية الدولة بوجه عام والمسؤولين في وزارة الثقافة بوجه خاص، وكذا قلّة الامكانيات المادية، مما أدى إلى تفكك النقابات والجمعيات والاتحادات بعد الخراب الذي لحق بجميع مكونات المشهد الثقافي، والذي أثرت تأثيراً مباشراً على نهضة الحركة التشكيلية في البلاد. ويمكن رصد الجوانب التي أثرت سلباً على فن الرسم والتصوير العراقي أثناء الحراك الثوري في النقاط التالية:

• قلّة الإمكانيات المرتبطة بإقامة المعارض (الداخلية والخارجية)، الشخصية والمشاركة، مما أدى إلى توقف نشاطات قاعات العرض، حيث تأثرت المباني المقامة فيها هذه القاعات بالعدوان العسكري .

• عدم وجود المراسم العامة التي كانت تشرف عليها وزارة الثقافة والمراسم الشخصية للفنانين المصورين، والمراسم الحرة التي يشرف على الدارسين فيها نخبة من الفنانين المتخصصين، نتيجة للتخريب غالبية المباني التي كانت تقام فيها هذه المراسم.

• انعدام تقديم الخدمات الأساسية للفنانين الهواة من خلال الرعاية الفنية لهم بإقامة المراسم وورش العمل، وتزويد ذلك بالمتخصصين الذين يستطيعون أعداد هؤلاء الفنانين الهواة. قلّة توافر الخامات والأدوات الأولية المرتبطة بالفن بوجه عام والتصوير بوجه خاص.

• توقف المهرجانات والمسابقات بين الفنانين المصورين المحترفين وغيرهم من الفنانين الهواة، والتي لها دور في رفع كفاءة وتشجيع هؤلاء الفنانين، لمواصلة مسيرة الإنتاج والإبداع الفني، وهو ما أدى إلى عدم قدرة الفنانين في العراق من مواكبة الحركات الفنية العالمية مما أدى إلى هبوط المستوى الفني في مجال التصوير.

مشكلة البحث: تتحدد مشكلة البحث في التساؤل التالي: كيف يمكن رصد وتحليل التحولات المفاهيمية والفنية في التصوير المعاصر للحراك الثوري بالعراق ؟

فرض البحث: يمكن الافادة من التحولات المفاهيمية والفنية في التصوير المعاصر للتعبير عن الثورات بالعراق.

هدف البحث: التعرف على التحولات المفاهيمية والفنية في التصوير المعاصر المعبر عن الثورات بالعراق.

أهمية البحث: الوقوف على أهم التحولات المفاهيمية والفنية لفن التصوير في العراق ورصد وتوثيق الأنماط الجديدة للأعمال الفنية في مجالي الرسم والتصوير المرتبط بالثورات العراقية.

حدود البحث: تحدد البحث بوصف وتحليل أهم الموضوعات التي تناولها الفنان العراقي المعاصر في فترة الثورات بالعراق.

منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج التحليلي والمنهج الوصفي.

مصطلحات البحث:

التحولات المفاهيمية والفنية: "تحولات المفهوم هو تطور فكرة مجردة تمثل الخصائص الأساسية للشيء الذي تمثله، كما يمكن أن تنشأ المفاهيم ضمن إطار التجريد أو التعميم، أو كنتيجة للتغيرات التي تطرأ على الأفكار القائمة" ويقصد بالمفاهيمية: الأفكار والقيم الاجتماعية والسياسية التي قد تشكل تياراً عاماً (Regensteiner, 2018.p23).

السياسية إلا أن الدراسة السابقة قد تناولت أهم القضايا السياسية العالمية، بينما تتناول الدراسة الحالية قضية محددة لها أبعاد خاصة قد شغلت ليس أهل العراق وحدهم بل شغلت جميع الدول العربية والأجنبية في العالم أجمع، ذلك لأن القضية المعاصرة مازالت آثارها السلبية متواجدة على أرض العراق.

3- دراسة: سليمان عبد القادر أحمد (□) (أحمد، 2010).

تناولت هذه الدراسة التصوير الفلسطيني المعاصر من خلال تحليل مختارات من أعمال الفنانين، بهدف التركيز على كشف الجوانب التعبيرية فيها، والتي تتناول أبعاد القضية الفلسطينية التي سارت حول محاور تمثلت في: أحداث النكبة عام 1948، والهجرة واللجوء الفلسطيني، وأحداث الانتفاضة، والحصار، وقد تبين للباحث من خلال نتائج بحثه إن فن التصوير الفلسطيني المعاصر قد عبر بصورة جيدة عن تلك القضايا المشار إليها، كما إن أعمال المصورين الفلسطينيين قد تنوعت من حيث الأساليب التعبيرية وكذلك توظيف الوسائط الحديثة والوسائل العلمية المعاصرة في إيجاد حلول ومداخل تشكيلية جديدة.

تتفق هذه الدراسة مع موضوع الرسالة الحالية في كونهما يدوران حول توضيح دور الفنانين المصورين في التعبير عن القضايا السياسية التي تشغل المواطن العربي في كل من البلدين فلسطين والعراق. يمكن للباحث الإفادة من هذه الرسالة في تتبعها لأنشطة الفنانين المختلفة التي اتجهت نحو توضيح الأبعاد السلبية للغزو والاحتلال، ولكن البحث الحالي يتناول الجوانب السلبية الناتجة عن الغزو الأمريكي للعراق على التصوير المعاصر، وكذلك سوف يتعرض لأهم الجوانب الإيجابية التي نتجت عن هذا الغزو الذي جعل الشعب العراقي يطالب بحقوقه واتصل بالعالم الخارجي للتعريف بقضيته بشتي الوسائل لاسيما التصوير.

تاريخ الحراك الثوري بالعراق:

إتسم المجتمع العراقي بصفات ثورية نتيجة لمكوناته المتعددة من القبائل والعشائر والقوميات والديانات المختلفة، مما جعله مكوناً فُسيفسائياً متعدد الأصول والاتجاهات في التفكير وطريقة العيش، وان التعددية في الاتجاه والتفكير يخلق حالة من وجهات النظر المختلفة، وربما يقود هذا إلى وجود صراعات تسودها النزعة الثورية لإثبات وجهات النظر وتحقيق أهداف

التصوير المعاصر: "أحد فروع الفن التشكيلي يمثل مجموعة من الاتجاهات والتيارات الفنية التي ظهرت في الغرب منذ ما بعد الستينات من القرن العشرين، وتمتد حتى الوقت الحالي. وهو عملية تسجيل العناصر المرئية والمجردة باستعمال أنواع الخطوط والأشكال والمساحات والقيم اللونية والضوئية المنسجمة فيما بينها والمعبرة عن ذات الأشياء بحيث تراعي فيه العلاقات الجمالية في الخط والمساحة واللون والقائم والفواتح بطريقة منسجمة" (محمد، 2014، ص 47).

الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع البحث:

دراسة: عصام محمد علي اسماعيل (□)، (إسماعيل، 2012).

تناول الباحث في موضوع رسالته قضية الحروب والصراعات وآثارها على حياة الشعوب والتداعيات في القيم الإنسانية، كونها من أخصب المجالات التي يعبر عنها الفن في مجال التصوير، تتفق هذه الدراسة مع موضوع الدراسة السابقة على كونيهما يتناولان الحرب ومخلفاتها ومآسيها على المجتمع ومنه المصور الفنان وتأثير ذلك على تغير أسلوبه في التعبير الفني عن تلك القضايا، بأساليب متنوعة، ونقطة الاختلاف واضحة بين الدراستين ففي الدراسة السابقة يتكلم عن الحرب في رقعة جغرافية عامة، أما الدراسة الحالية يقوم موضوع البحث فيها عن التحولات المفاهيمية والفنية للتعبير عن الحراك الثوري بالعراق وخصوصاً بعد ثورة 25 أكتوبر عام 2019.

2- دراسة: سامي عبد الفتاح (□)، (عبد الفتاح، 2006).

يتركز الهدف الرئيسي من هذه الدراسة في الكشف عن الاتجاهات الفنية والفلسفية التي ترتبط بالتصوير المعاصر من خلال تحليل مختارات من الأعمال الفنية التي تتباين فيما بينها من حيث الأساليب الفنية التي إتبعها كل فنان، وكذلك إلقاء الضوء على الوسائل الأدائية والتنفيذية الحديثة التي اتجه إليها من الفنانين إلى توظيفها، والقيم الفنية والفلسفية التي يهدف المصورون إلى تحقيقها بهدف تجسيد القضايا السياسية التي تنتشر في أنحاء العالم، حيث إن للمصور دور لا يمكن إنكاره في التعبير عن تلك القضايا السياسية باعتباره أكثر شعورا وإحساسا بما يحدث في العالم من حوله، وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في كونهما يتناولان التعبير عن القضايا

□ - عنوان الدراسة: "الجوانب التعبيرية عن القضية الفلسطينية في التصوير المعاصر".

□ - عنوان الدراسة: "أساليب التعبير عن مآسي الحروب في تصوير القرن العشرين كمدخل لاستحداث صياغات تشكيلية".

□ - عنوان الدراسة "الاتجاهات الفنية والفلسفية لتصوير القضايا السياسية في الفن العالمي المعاصر".

خبراء الفن أنه من أوائل الفنانين العشرة "الملونين" في العالم الذين درسوا اللون وتأثيره ومن بينهم مانية وسيزان ومونيه ورينوارو فان كوخ. فأصبحت هناك ثورة فنية منضبطة وعظيمة في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات والسبب هو أن مؤسسة (كولبنكيان) (*) للفنون كانت من أكبر صالات العرض في العالم وهي تتبرع بمبالغ لا بأس بها للحركة الفنية العراقية بشكل عام وكذلك وجود شعراء ومثقفين على رأس وزارة الثقافة والاعلام مما ساهم في دعم وتقديم الحركة الفنية بصورة عامة والفن التشكيلي بصورة خاصة في العراق، إذ شهدت العاصمة العراقية إفتتاح قاعات عرض متعددة للفنون التشكيلية. أما في الثمانينيات والتسعينيات بدأت هذه الحركة التشكيلية تأخذ منحى آخر وهو تسييس الفن التشكيلي بما يخدم الاتجاه العام السائد بعد حرب إيران على العراق عام 1980م والعدوان الثلاثيني الذي سمي بـ (حرب الخليج) الاولى عام 1991م ثم تلاه الحصار الإقتصادي على العراق، فأثرت هذه الاحداث جميعها على المستوى الفني الذي انتعش في الستينات والسبعينات وبدأ يهبط إلى مستوى التسييس التابع الى الدولة حصراً، وإن الحركة التشكيلية العراقية المعاصرة مرت بمنعطفات كثيرة جعلها تنتكس نتيجة الظروف السياسية التي مر بها العراق، وإن أهم هذه المنعطفات الخطيرة هو الاحتلال الدموي الفاشي والسادى الأمريكي لأرض الرافدين عام 2003م وتدمير كل ما يمت بصلة الى التطور الحضاري والثقافي والاقتصادي. إن الحركة التشكيلية العراقية ذاقت الانتكاسات المتلاحقة، فأصبح الفن التشكيلي العراقي المعاصر يمثل الاساليب العشوائية المنتشرة في العالم، الفنان العراقي يركز وهو في الغربة على ابتكار الاعمال الفنية التي يعتاش من ورائها، وهناك محاولات للرجوع إلى الاسلوب العراقي في الفن التشكيلي الذي وضع أسسه عظماء الحركة التشكيلية العراقية كجواد سليم وفائق حسن وحافظ الدوربي واسماعيل الشبخلي ولكن هذه المحاولات غير ناضجة وقسم منها استنساخ مشوه بتشكيلات لونية، وفقدت ركائز الحركة التشكيلية المادية والمعنوية، واليوم تماما مفقود في عراق لزال الاحتلال جاثم على صدره، والاستمرار في تدمير بنيته الحضارية والثقافية والاجتماعية والاخلاقية كل يوم (الأنباري، 2020، ص20).

1961، وكان عرض مبادرة السيد كولبنكيان إنشاء مبنى لمتحف جديد يحتضن الأعمال الفنية الكثيرة التي كان قد اقتناها وجمعها.

تتعلق بتأكيد الأفكار والمعتقدات التي تؤمن بها كل من الطائفة أو العشيرة أو الحزب، إذ تعرض العراق عبر تاريخه الحديث منذ مطلع القرن التاسع عشر ولحد الآن إلى العديد من الكوارث والحروب والأمراض مما أضر سلباً على استقرار المجتمع وتطوره (BB.com, 2014).

الحركة التشكيلية العراقية:

منذ أوائل القرن العشرين ظهرت امكانيات فنية لفنانين هواة كانوا قد خدم بعضهم في الجيش التركي كالضابط عبد القادر الذي لقب بالرسام لأنه أبدع بتصوير بعض الأماكن من بغداد والطبيعة على الطريقة الأوروبية وبالالخص الإيطالية الكلاسيكية القديمة وهو يعد أول من أسس حركة الرسم في العراق ومارس هوايته حتى الثلاثينيات من القرن الماضي، وإن الفنان جواد سليم احد أولئك الذين ساهموا بحركة الرسم وبالتالي اندفاع الحركة التشكيلية العراقية المعاصرة الى التقدم، إضافة الى الفنانة نزيهه السليم، وكان من ضمن أوائل الحركة التشكيلية العراقية في بداية القرن الماضي محمد صالح زكي والفنان عاصم حافظ ومن ثم الفنان فائق حسن والفنان أكرم شكري، فتأسست أول جمعية فنية عام 1941م هي "أصدقاء الفن" فشارك فيها كثير من الرواد والمحترفين والهواة في ذلك الزمن ومن ضمنهم فائق حسن وجواد سليم وحמיד المحل وغيرهم (الحسن، 2018).

لقد ساهم معهد الفنون الجميلة الذي تأسس عام 1939م في بغداد مساهمه فعالة في نضوج الحركة التشكيلية العراقية، إذ أصبح الفنانون العراقيون الذي رجعوا إلى وطنهم بغداد بعد انتهاء دراستهم في باريس وروما رواداً للحركة التشكيلية العراقية في بداية القرن العشرين، وبعد ذلك تأسست بجانب جمعية أصدقاء الفن جمعيات أخرى منها جمعية الرواد 1950م وجمعية بغداد للفن الحديث 1951م وجمعية جماعة الانطباعيين 1952 حتى أستقر الامر بانثاق جمعية الفنانين العراقيين عام 1951م التي ضمت جميع الفنانين العراقيين بمختلف اختصاصاتهم ومؤهلاتهم واتجاهاتهم فاغنت الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق وجعلتها في تقدم عظيم، فبذلك أصبح الفنان العراقي التشكيلي قدوة للفنانين التشكيليين العرب بتقديم فن رائع يضاهي في جودته الفن التشكيلي العالمي وخاصة الفنان العالمي فائق حسن الذي يعد كمدرسة اكااديمية تأثيرية ليس في العراق والوطن العربي فقط بل على مستوى العالم، إذ يعده

(*) كالوست كولبنكيان هو رجل أعمال أرمني وواهب كريم جمع ثروته من خلال عمله مع شركة النفط البريطانية بنى متحف الفن الحديث في ساحة الطيران في بغداد، وقد صُمم هذا المبنى في الخمسينيات من القرن الماضي و افتتحت قاعته في عام

التحرير في المدينة إلى معرض فني ثوري نابض بالحياة من خلال الجداريات والبيانات المرسومة على جدرانه (درويش، 2020، ص62). فالتعبير بالفن والرسومات المنتشرة في ساحات التظاهر أظهر حالةً جامعةً للمحتجين من كل طبقات الشعب العراقي، بينها طبقة واعية مثقفة تتكوّن من فنانين وتشكيليين وطلبة وصحافيين، فالفن التعبيري تُرجم جزءً منه معاناة المحتجين مع القوات الأمنية وحوادث الاحتطاف، بمشاهد صوّرت القمع ومقتل الأطفال بقنابل الغاز، وبعضها جاء ناقداً لدور الأمم المتحدة. وجزء آخر مهم، كان يعبر عن أحلام جيل الثورة الذي يتطلّع إلى عراق مختلف ذو توجه سياسي محدّد، يمثل المتظاهرين أنفسهم (مهدي، 2020).

وإن التوجه للساحات من خلال هذه الرسومات هو التوجه الوطني الغائب عن الشارع العراقي منذ 16 سنة، فالصراع ما بين السياسيين هو صراع طائفي وميليشياوي، وهذا يتناقض مع توجه المتظاهرين الوطني، إذ تناولت الكثير من اللوحات تصوير الأوضاع المتردية في العراق عاما بعد عام، مثل مذبح قاعدة سبايك ودخول داعش، ويعمل الفن التشكيلي كأداة لتوثيق ما يجري على أرض العراق ووسيلة لتوصيل رسالة عن معاناة العراقيين من جرائم القتل والفساد، فضلاً عن إبراز تاريخ العراق واحياءه الشعبية مثل رموز الحضارات العراقية المتعاقبة كالبابلية والسومرية، وعمارة " الشناشيل" وهى العمارة البغدادية التي يزيد عمرها على 150 عاما، وأن الكثير من الاعمال فيها روح العراق القديمة. فيترجم المحتجون في ساحة التحرير بوسط العاصمة العراقية بغداد مطالبهم التي يسعون من خلالها إلى "إسقاط النظام"، عبر جداريات ملوّنة يظهر فيها الحال التي يأملون أن تكون عليها بلادهم. وتؤكّد معظم الجداريات في نفق السعدون ببغداد على الوحدة العراقية، فضلاً عن إدانتها للطائفية والدعوة إلى السيادة الوطنية ووضع حد للتدخلات الأجنبية، إضافة الى بطولات سائقي (التوك توك) (*) الذين يساعدون في نقل المتظاهرين المصابين إلى المراكز الطبية. كما تُعرب عن أسف الفنانين إزاء صمت العالم ضد حملة القمع العنيفة للاحتجاجات، التي أودت بحياة 600 شخص حتى الآن، بحسب منظمة العفو الدولية. فضلاً عن استخدام بعض الفنانين العراقيين رموزاً من بلاد ما بين النهرين القديمة في جدارياتهم، حيث مزجوا صور الثيران المجنحة الآشورية من القرن السابع قبل الميلاد مع

التحولت الفنية للحراك الثوري العراقي:

يعد العراق وعبر تاريخه الطويل في مقدمة الأمة العربية قائداً لمسيرتها، ومدافعا عن كرامتها ضد المحتل وكما أن لموقعه الجغرافي، والتاريخي، والحضاري أهمية حضارية كبيرة جعلته مركز إشعاع للمنطقة، وبات تأثيره واضحاً جلياً بعد احتلال العراق عام 2003م من قبل أمريكا وأذناها، فترجع الوضع في العراق المتمثل بخلق النزاعات الطائفية والعرقية وتحطيم النسيج الاجتماعي، وانعكس ذلك سلباً على منطقة الخليج العربي، وبلاد الشام، واليمن. فإنتقلت ثورة تشرين في عام 2019 كرد فعل على السياسة المتبعة من قبل الاحتلال ومن يمثله في العراق، وإن هذه الأوضاع في العراق فرضت نفسها بقوة على الحركة الفنية والثقافية بالبلاد وأن الثورة أفرزت فنانين مهتمين كثر، وساهمت في تطور أفكار الكثير من التشكيليين العراقيين، وأن معاناة المواطنين على مر سنوات طوال خلقت فناً حقيقياً في العراق (عبد الرزاق، 2019، ص76).

يتم بذل العديد من الجهود في الفن التشكيلي العراقي، لتجذير واقع الفن بطريقة تعبر عن طموح الغد فكرياً. وإن حلم الفنان الخاص مع تراكم أحلام مجتمعه وروحه الإنسانية الإبداعية يعد بين التجارب التي يتألف منها المشهد التشكيلي المعاصر (Kadhim, 2020).

إذ تجمع فنانون عراقيون شبان في موقع الاحتجاج الرئيسي بقلب العاصمة بغداد (ميدان التحرير) لإبراز وجه ملون للمشهد، حيث يغطون بلوحاتهم الجدران المصمتة، فتدب فيها الحياة، وإن ثورة تشرين تجاوزت سلميتها ثانياً القلب، لتعزف أنامل الفنانين على جداريات شوارع مُدّهم ليرسموا لوحات تحمل أسمى المعاني برمزياتها التاريخية والوطنية، من أجل أن تشرق شمس الحرية على ربوع العراق، كانت ثورة العراق، تزهو بألوان شوارع مدنها، من بغداد إلى كربلاء ثم النجف وصولاً إلى بابل.. وغيرها من المدن، على رغم من محاولات تشويه بعض المغرضين لسلميتها، إلا إن أبناء الثورة أعادوا نبض السلام إليها. ومع استمرار الثورة وبالتزامن مع الاحتجاجات المناهضة للحكومة التي اجتاحت بغداد منذ تشرين الأول/ أكتوبر 2019، خرج العشرات من الفنانين الشباب إلى الشوارع مزودين بأسلحتهم المفضلة، خامات الطلاء ومُرشّ الرسم ومفعمين بمشاعر الغضب والأمل وباستخدام فن الاحتجاج، وحوّل الفنانون نفقاً مهماً منذ فترة طويلة يمر تحت ساحة

(*) "السوبر تك تك"، وهي مركبة التوك توك التي كانت بمثابة سيارة إسعاف لنجدة المتظاهرين.

اللوحة الثانية: حرص العمل على دمج الماضي بالحاضر من خلال تناول صور الأسود التاريخية مع الثوار وهم يتجمعون تحت نصب الحرية.

المحاور التي قام عليها بناء العمل:

بيان الحضارات العراقية القديمة بتجسيدها للحيوانات وعلاقتها بالإنسان ومنها الحضارة الأشورية والسومرية والبابلية، وكان رمز الأسد هو السائد في كل فنون الحضارات القديمة، فالفنان أراد أن يظهر خاصية تداخل التاريخ الماضي بالحاضر والوصول إلى مجد المستقبل والحرية.

من خلال تجسيد جدارية (نصب الحرية) التي تمثل رمزاً لإنطلاق الثورة الشبابية، وهنا يُظهر الفنان الثوار بجميع أنواعهم وهم يحملون الاعلام العراقية أثناء سيرهم في المظاهرات.

- إستخدم الفنان اللون الازرق وهو من أكثر الالوان المشهورة في الحضارات العراقية القديمة فنجد أن الفنان حاول فتح بوابة من الماضي ودخول الأسود مع الثوار ليكونوا سند لهم ودعم لهم وكأنه يؤكد أن ماضي العراقي يوافق الثوار على ما يقومون به من الرغبة في التحرر من الظلم والفساد.

والغرض من العمل: دعم الثوار وإسنادهم والتأكيد على قوة رسالتهم.



صورة (2) خالد المدلل - غضب أسود الرافدين - زيت - مقاس 120سم × 100سم - 2020 -

اللوحة الثالثة: تناول الفنان البنية المكانية التي كانت أحدى رموز الثورة وهو (المطعم التركي)، الذي كان يختبأ فيه المتظاهرين وأسموه (جبل أهد)، ويظهر العمل الفني الثوار وهم يصرخون ألماً من ضربات القنابل، وصوت إطلاق النار، مع استمرار التظاهر والمطالبة بالحرية والحقوق الإنسانية.

المحاور التي قام عليها بناء العمل:

ان المطعم التركي هو أحد اهم الاماكن التي لجأ لها الثوار أثناء ثورتهم واعتبروه أنه ملجأ يتجمع به جميع الثوار وقاموا بتشبيبهه بجبل أهد لكي يؤكدوا على الانتصار بعد الانهزام مثل ما حدث في

عربات التوك توك وقاموا بتصوير الأميرة السومرية بو-آبي (2600 قبل الميلاد) وهي ترتدي قناع واقى من الغاز مثل الأقنعة التي يستخدمها المتظاهرون لمقاومة أبخرة قنابل الغاز المسيل للدموع التي ألقيت عليهم من قبل قوات الأمن، كما تميّزت التظاهرات في بغداد وهي الأكبر منذ سقوط نظام صدام حسين في عام 2003م بمستوى غير مسبوق من مشاركة المتظاهرات من النساء، فخرجت تظاهرات المئات من النساء العراقيات إلى الشوارع، علاوة على ذلك، تُشيد العديد من اللوحات الجدارية بقوة النساء وإسهاماتهن، في دعوة إلى المساواة بين الجنسين (الموسوي، 2019).

تحليل مختارات من أعمال الفنانين العراقيين عن الثورات العراقية: **اللوحة الأولى:** تناول العمل الفني حركة أبطال الثورة ككتل وأشكال آدمية ناطقة تؤرخ معاناة الشعب العراقي، والتي جسدت أروع البطولات الثورية والتي تكون أقرب للمشاهد المسرحية التي تُحاكي يوميات العراق مع الحرب والأسر والاحتلال، وهي المشاهد التي تعايش معها الفنان "باران" بشكل شخصي وعن قُرب مما جعل اللوحات تكون أقرب للتصوير الحي.

المحاور التي قام عليها بناء العمل:

تحقيق فكرة الثورة بنزعة إنسانية من خلال تكرار الأوجه البشرية لأبطال الثورة مما يظهر هاجساً نفسياً على مدى تلاحم الأبطال في ميدان التحرير وهم محتجزين في مكان واحد.

تعمد الفنان إلى أخفاء ملامح الوجوه وخصوصاً (الأعين)، وهي حملة بطاقات تعبيرية مقصودة يظهر فيها واقع الأهلوال المخيفة التي تعايش معها الفنان في تصوير العمل، فكان اللون الاحمر وهو في هذه الحالة لون الموت هو اللون الغالب في اللوحة مع وجود التضاد في الاتجاهات.

والغرض من العمل: تقديم شهادات عن الانكسار والخذلان والخسارة والإحباط والظلم، كان أبطال اللوحة يرتدون بدلة السجن حمراء تقترب بهم إلى مشانق الموت.



صورة (1) سيروان باران - تركية الحرب الثقيلة - زيت - مقاس 140سم ×

120سم - 2019



صورة (4) لوحة للفنان عادل أمقر- عراقيات أصيلات- زيت - مقاس 100سم × 100سم - 2020 -

اللوحة الخامسة: تناول العمل الفني رمز الحرية الرئيسي وهو الحمام ومشاركته مع الثوار، وإن الثورة سلمية ضد العنف والاضطهاد.

المحاور التي قام عليها بناء العمل:

إظهار صور الحمام وهو يخلق فوق الثوار دلالة على حرية الرأي فى تجسيد الثورة وكما يظهر الحمام وهو يطير في السماء وكأنه يخرج من الدخان إلى الشمس والنور، أي الخروج من الظلم إلى الحرية ولذلك قامت الفنانة بتسميته على أبواب الحرية . جسدت الفنانة لغتها التعبيرية لمفهوم الحرية والسلام من خلال رسم الثوار حاملين العلم العراقى وهم يسيرون باتجاه النور مشاركين بذلك الحمام إشارة إلى طريق الحرية الذى يسعون إليه لبناء مستقبلهم وإن الثورة ستنصر وستنال الحرية والسلام. واعتمدت الفنانة على اختيار الألوان الأزرق والابيض والذي يدل على الصفاء والسلام الذى تحمله رسالة الثورة، وتناولت رسوم الثوار وهم بملابس مختلفة الألوان دلالة على أختلاف الطبقات والمذاهب التى شاركت فى الثورة، وتوحدت كلمة الثوار فى رفع الأيدى الخالية من أى مظهر للتسليح دلالة على أن الثورة سلمية وطريقها للحرية.

الغرض من العمل: التأكيد على قرب نجاح الثورة والحرية.



صورة (5) فرح اليوسف - على أبواب الحرية - مائة على ورق كانسون - مقاس 30سم × 40سم - 2020 -

معركة أحد بعد هزيمة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم عقب ذلك إنتصار الدعوة وفتح مكة.

تناول العمل الفننى تلك الذى كان له دور مهم فى الثورة فى نقل المصابين والتمكن من أسعافهم ونجدهم وكانت شخصيات الثوار وهم يواجهون القتل أمام المطعم فيكون قصد الفنان إظهار العمل كواقعة أحد فكان الثوار هم المسلمين الذين استشهدوا أمام المطعم، وكان المطعم هو بمثابة جبل أحد.

ونجد احد الاشخاص يحمل معه زجاجة بيبسي والتي يستخدمها أغلب الثوار فى صناعة القنابل اليدوية.

الغرض من العمل: توثيق الرموز المهمة فى الثورة ك (المطعم التركي والتك تك).



صورة (3) نبيل علي - المطعم التركي-زيت- مقاس 140سم × 100سم - 2020 -

اللوحة الرابعة: تناول الفنان تصوير المطعم التركي (جبل أحد) وأهمية دور المرأة العراقية فى الثورة من خلال تشجيع أخوانهم المتظاهرين وعلاج المصابين، كما كان لها الدور فى التبرع المادى بـ (الحلى والأموال) لدعم الانتفاضة الشبابية.

المحاور التي قام عليها بناء العمل:

إظهار المطعم التركي (جبل أحد) وهو يحتوي على مجموعة الشعارات المكتوبة عليه مثل (كلنا العراق) والذي يؤكد على أن من يقوم بالثورة ليس فئة أو طائفة معينة ولكنهم جميع العراقيين بجميع أعمارهم وأنواعهم ومستوياتهم.

تناول العمل الفننى صور المرأة والتأكيد على قوتها وتماسكها وأن لها دور مساوي للرجل، كما تناولت جميع المهن التي تقوم بها المرأة فى الثورة مثل التمريض والطب والرسم، كما يبين العمل على أن فترة وباء كورونا ورغم أنتشار هذا المرض لكن الثوار مازالوا يحاربون من أجل رسالتهم وذلك من خلال ارتداء السيدات إلى الكمامة.

الغرض من العمل : التأكيد على أهمية دور المرأة فى الثورة.

التوصيات:

الاهتمام من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية بتدريس فنون الثورات العراقية في برامج التصميم لطلاب الفنون والتربية الفنية بدولة العراق.

دعم المؤسسات التعليمية والجامعات ومراكز البحوث لهذه النوعية من الأبحاث وتشجيع البحوث العلمية التي تتناولها وذلك لإنتاج أعمال فنية ذات رؤى معاصرة.

إمكانية استلهام أعمال الثورات العراقية بين مجالات الفنون التشكيلية المختلفة.

إجراء العديد من البحوث المقترحة التي تتناول موضوع الثورات العراقية من زوايا جديدة أخرى.

المراجع:**أولاً/ الكتب العربية:**

1. الأنباري، شاكراً: الديمقراطية التوافقية، مفهومها ونماذجها، بغداد، مركز الدراسات الاستراتيجية، 2020، ص20.
2. درويش، حسن: المواطنة، بغداد، 2020.
3. عبد الرزاق، صلاح: مشاريع إزالة التمييز الطائفي، من مذكرات فيصل الأول الى مجلس الحكم، بغداد، دار الحوار، 2019.
4. ليهارت، ارنه: الديمقراطية التوافقية في المجتمع المتعدد. ترجمة حسني زينة. بغداد. معهد الدراسات الاستراتيجية، 2006.
5. مهدي، عيبر سهام: مفهوم المواطنة ودورها في بناء الدولة العراقية، المؤتمر العلمي في استراتيجيات بناء الدولة العراقية، بغداد، بيت الحكمة، 2020.

ثانياً/ الكتب الأجنبية:

- 1- Regensteiner ,Else: " Weaving source book" VanNostrand Reinhold. new York. 2018.p23.
- 2- Kadhim, Kawthar Mohammed, and Rana Hussein Hatif. "Representations of the Iraqi Environment in the Works of Star Luqman." PalArch's Journal of Archaeology of Egypt/Egyptology 17.7 (2020): 3690-3700.

ثانياً/ الرسائل:

1. اسماعيل، عصام محمد علي: أساليب التعبير عن مآسي الحروب في تصوير القرن العشرين كمدخل لإستحداث صياغات تشكيلية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 2012.

اللوحه السادسة: تناول العمل الفني أحد أبطال التحرير وهو يتصدى لغدر القوات التي ترمى عليهم القنابل المسيلة للدموع بمضرب التنس وهو يرتدى قناع واقى للغاز.

المحاور التي قام عليها بناء العمل:

يوضح العمل الفني لحظة تصدى أحد أبطال ثورة تشرين لقنابل الغاز المسيلة للدموع بواسطة مضرب التنس محاولاً أبعادها عن الثوار كي لا تصيب أحد وأرجاعها للخصم وكأنه يوصف هذه الواقعة باللعبة وأن حياته وحياة الثائرين مرهونة بعزمهم وتصديهم لهذه القنابل التي راح ضحيتها عشرات الشهداء فقد كانت تصيب رؤوسهم وصدورهم وأحياناً أختناقاً بالغاز.

يظهر العمل الفني البطل الثائر وهو يرتدى قناعاً واقياً للغاز، حتى لا يصاب بالأختناق ويستطيع التواصل وحماية نفسه من القنابل كما تعبر حركته فى التصدي بأنه لا يخاف، ويمتلك الشجاعة فى مواجهة الخصم بسلاحه الرياضي، لأن القنابل أصبحت شئ عادياً فى حياة الثوار وأخذوا يتعاملون معها كأنها لعبة وبدون خوف.

الغرض من العمل: توثيق لحظة تصدى أحد أبطال الثورة للقنابل المسيلة للدموع.



صورة (6) تصوير فوتوغرافي للمصور علي دهب - حجم الصورة: ملم × 1280ملم798 - ساحة التحرير بغداد - 2019

نتائج البحث:

إن الإستلهام من التحولات المفاهيمية والفنية للثورات العراقية أدى إلى إثراء التعبير في التصوير العراقي المعاصر.

ساهم البحث في إيجاد مداخل جديدة ومستحدثة للتعبير عن الحراك الثوري بالعراق من خلال رصد وتحليل التحولات المفاهيمية والفنية في أعمال المصورين العراقيين.

2. عبد الفتاح، سامي: الاتجاهات الفنية والفلسفية لتصوير القضايا السياسية في الفن العالمي المعاصر، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 2006.
3. عبد القادر أحمد، سليمان: الجوانب التعبيرية عن القضية الفلسطينية في التصوير المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 2010.

ثالثاً/ المجلات:

1. الحسن، احمد جبارة عبد: تقانة الازهار في الرسم العراقي المعاصر، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، العدد31، المجلد ج1، 2018.
2. الموسوي، جواد مطر المواطنة في العراق بغداد : بيت الحكمة، 2019، مجلة دراسات سياسية : المجلد 12.

رابعاً/ مواقع شبكة المعلومات:

أهم الاحداث التي شهدتها العراق منذ تشكيله كدولة وحتى

BBC. 2014

3.comhttps://www.bbc.com/arabic/middleeast/2014/04/140424

_iraq_timeline2014,15/4/2021.12:4 PM.